الباب الأول

دراسة المؤلف

الفصل الاول: عصر المؤلف

اولا/المبحث الاول: الحالة السياسية.

ثانيا/ المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

ثالثا/المبحث الثالث: الحالة الفكرية.

obeikandl.com

تمهيد

للعلماء العاملين دور مشهود في الحياة الانسانية . فهم العارفون بدقائق المعارف ، والعاملون بها .

وقد خصهم الخالق جل جلاله بالتمييز عن سواهم كما جاء في محكم ايات كتابه المجيد ، اذ ورد :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (١)

وزادهم الله - تبارك - من فضله فاعز مكانهم ، وبرز منزلهم . ورفع شأنهم ، وفضل مدادهم على دماء الشهداء المجاهدين وان نعمة العلم مقترنة بالايمان . وهي النعمة الالهية الثانية بعد نعمة الخلق . وينال الانسان بفضل العلم وتوفيق الله ولطفه خير الدارين ، وسعادة النشأتين .

وقد صرح القران الكريم بهذه الحقيقة الناصعة وهي ان الايمان لا يتم الا بالعلم والمعرفة فقال جل من قائل :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٢) .

وحيث يسود العلم . ويوجد العلماء تتلألأ الانوار وتخضر المرابع والديار ، وتزدهر الحضارات وتسعد الامم .

كل ذلك يتم من خلال طلب العلم من مظانه . واقتباسه من اهله على مر العصور ومختلف الاوطان .

ولكننا نقف بعد هذه الاشارات الموجزة ونقول :

ان اقل ما يمكن ان يكرم به الانسان العالم . وادنى ما يوفى له بعد ان اوقف حياته وافناها في خدمة الدين والامة ان تدرس حياته . او تطبع مؤلفاته ، وينشر علمه . وتكتب سيرته ، وتسجل مأثره .ويثنى عليه . وان يبوأ المكانة التي يستحق وتليق به في حياته او بعد وفاته .

ومن هؤلاء العلماء الصالحين . والاتقياء العاملين ، العالم الشهير ، والعلامة التحرير ، قاموس اللغة المحدث الفقيه الناقد الاصولي ، والنسابة الكلامي قاضي قضاة عصره الحافظ علاء الدين مغلطاي (رحمه الله تعالى) .

---

(١)سورة الزمر ، الاية :٩.

(٢)سورة فاطر، الاية ٢٨.

لابد للعالم العامل ان يظهر صيته ، وتبرز مآثره من خلال عرض صفحاته البيضاء المليئة بالعطاء . ولتقتدي به الاجيال بما حبوا به من مآثر غراء ، وشمائل مفعمة بالوفاء .

ولكي لا ينقطع حبل الاتصال بيننا وبين علماء السلف الصالح . ولكي لا تندرس طاقاتهم العلمية الثمينة بلا اعتبار منا . وما تحويه حياتهم بالقيم الرائعة من هنا وهناك من المصنفات المهمة النافعة التي ترن اسماع العارفين بفضلهم سواء المخطوطة منها او المطبوع على حد سواء . ولكي تدوم دروب المستقبل بعلومهم ومعارفهم فلا بد ان تسجل مآثر تلك الكتب باحرف من نور .

ووفاء بجميل ما اسداه قاضي القضاة الحافظ علاء الدين مغطاي للامة العربية والاسلامية يتوجب علينا دراسة وتحقيق كتابه الموسوم : (مختصر تاريخ الخلفاء) موضوع دراستنا هذه.

فهكذا شأن ، وهكذا علم من بين اولئك الاعلام ،وهكذا دراسة علمية يغبط عليها من يكتب عنها بما يليق من هذه الخدمات الجلى ذات المثابة والمثوبة .

فحياة علاء الدين مغلطاي تمتد على جزء كبير من القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، ولقد فتح هذا العالم الكبير عينه على الدنيا ورحى حرب وخلافات سياسية وفكرية تدور على ارض البلاد المصرية والشامية.

ومن مظاهر الحالة السياسية لعصر **علاء الدين مغلطاي** حدثاً خطيراً جرى على ارض مصر هو امتداد نفوذ دولة المماليك (**البرجية**) وبسط سيطرتها على مصر والشام .

ومما نتج عن هذا الوضع المتلبد بالغيوم اشاعة الخوف والرعب في قلوب ابناء الشعبين .

وقد عاصر (مغلطاي) سيطرة الدولة الايوبية (**البحرية**) على البلاد المصرية والشامية ايضا.

ومن البديهي ان يكون لهذه الصلة الوثيقة بالعصرين المملوكي والايوبي تأثير كبير في تكوين شخصية (علاء الدين مغلطاي) وبناء ثقافته وتحديد اتجاهه العلمي .

ولذلك يبدو من الضروري تقديم صورة وافية عن (عصر مغلطاي) من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية قبل التهيؤ للخوض في غمار تفاصيل (حياته) لصعوبة تفسير بعض التفاصيل مجردة عن وقائع العصر واحداثه .

واذا كان - من البديهي - لنا ان نعتبر العالم - ايا كان - ابن عصره وبيئته ، فان القيام بهذه المهمة يصبح فرضا واجبا ومسلكا لا محيد عنه ، لذا سنبدأ بدراسة النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية لعصر (مغلطاي) على التوالي .

الفصل الاول: عصر المؤلف

اولا: المبحث الاول: الحالة السياسية :

شهدت البلاد المصرية والشامية في سنة (ثمان واربعين وست مئة) نهاية الدولة الايوبية بموت اخر ملوكها وهو الملك الصالح نجم الدين ايوب، وسيطرت زوجته ((شجرة الدر)) على مقاليد الامور والحكم بالبلاد اياما قليلة.كما شهدت قيام دولة جديدة على اعقاب الدولة الايوبية، عرفت في التاريخ باسم :دولة المماليك البحرية، وقد انشطرت هذه الدولة الى مايسمى بدولة المماليك البحرية ودولة المماليك البرجية.[1]

امتد نفوذ دولة المماليك البحرية منذ سيطرتها على البلاد المصرية والشامية من سنة (ثمان واربعين وست مئة). وهؤلاء هم المماليك الذين اسكنهم الملك الصالح نجم الدين الايوبي بجزيرة الروضة في قلعة مصر التي سميت بقلعة البحر ، وقلعة الجزيرة التي انشاها نجم الدين ايوب في سنة (ثمان وثلاثين وست مئة). وعرفوا فيما بعد بالبحرية.[2]

اما دولة المماليك البرجية فقد امتد نفوذها وسيطرتها على البلاد المصرية والشامية من سنة (ثمان واربعين وسبع مئة) الى سنة (ثلاث وعشرين وتسع مئة). وهؤلاء هم المماليك الذين افردهم الملك المنصور قلاوون بالقلعة .وكلهم من الجراكسة. وسماهم المؤرخون(البرجية) نسبة الى ابراج القلعة[3] اتسم حكم المماليك البحرية والسيطرة على ادارة البلاد المصرية والشامية بكثرة الفتن

---

(١)الدكتور علي ابراهيم حسن. دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،الطبعة الاولى.د.ت،ص٥٠.

الدكتور محمود رزق سليم .عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي. مطبعة التوصل . مصر.ج١،١٣٦٦هـ-١٩٤٧م .ص٢٥.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام ،سلسلة الف كتاب ،مكتبة النهضة المصرية .القاهرة ،١٩٥٩م،ص٩٨.

(٢)المقريزي .تقي الدين ابو العباس احمد بن علي(ت ٨٤٥هـ) :المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف (بالخطط المقريزية) ،بيروت.دار صادر ،ج٢.ص١٨٣.

ابن تغري بردي الاتابكي.ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي(ت ٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج٦،مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة.١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .ص٣٧١.

(٣)ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ج٧،ص٣٣٠.

والاضطرابات .وعدم الاستقرار . والتناحر بين السلاطين والامراء على مناصب الدولة المهمة والرئيسة.واشاعة الخوف والرعب في قلوب ابناء الشعب لكثرة مايحيط بهم من هذه الاضطرابات والصراعات السياسية . على ان حقبة زمنية محددة من هذه السيطرة امتازت بالهدوء والاستقرار والامان الذي عم البلاد، الا وهي المدة الثانية والثالثة من حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.والتي دامت سنة كاملة ابتدأت سنة ٧٤٨ هـ حتى نهاية ٧٤٩هـ [١]، ففي ولايته هدأت الاوضاع وعادت هيبة السلطة .وبسطت الدولة نفوذها على جميع مرافق الحياة.واستطاع النظام الاداري للسلطة ان يكون على جانب عظيم من الدقة والتنسيق.

ونظمت ايضا دواوين الحكومة ،ومواردها ،فنعمت الدولة بالاستقرار والهدوء[٢] بفضل شخصية هذا الملك الذي وصفه جمال الدين بن تغري بردي بقوله: (وكان ملكاً عظيماً محظوظاً ، مطاعاً،مهيباً.ذا بطش ودهاء .وحزم شديد.وكيد مديد،قلما حاول امر فانحزم عليه فيه شيء يحاوله . الا انه كان ياخذ نفسه بالحزم البعيد والاحتياط) [٣].

ولاغرابة اذن ان (يمثل ذلك العصر بالذات اعظم عصور التاريخ المصري زمن المماليك واكثرها ازدهارا .ذلك ان نفوذ الناصر امتد من المغرب غرباً حتى الشام والحجاز شرقاً وبلاد النوبة جنوباً حتى آسيا الصغرى شمالاً)[٤].

---

(١) الدكتور جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر. الحالة السياسية والاقتصادية،مطبعة الاعتماد .مصر. ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.ص٦٣.

الدكتور علي ابراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية .مكتبة النهضة المصر.ط٢.١٩٧٢م.ص٩٢.

(٢) محمود رزق سليم:عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي.ج١،ص٢٧.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور :الظاهربيبرس،القاهرة .سلسلة اعلام العرب، رقم(١٤) ، ص١٣٠.

ابن تغري بردي .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.ج٦ ،ص٢١٠ .

(٣)المصدر نفسه ، ج٦، ص٢٢٠.

(٤)الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك .دار النهضة الحديثة .١٩٧٢م.ص٢١٤.

جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر ،ص٦٥.

واما في الداخل فقد كان عهده عهد رخاء واستقرار حيث قضى عهده الطويل في الاصلاح والانشاء والتعمير ،الامر الذي جعل المؤرخين والرحالة المعاصرين يشيدون بسيرته وفضله وازدهار حكمه[1]. غير ان هذا الهدوء والاستقرار السياسي سرعان ما افتقد بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (احدى واربعين وسبع مئة)،فقد دخلت الدولة في طور جديد من نظم الحكم[2] لكثرة من تعاقب من السلاطين على حكم البلاد في حقب متلاحقة وفي سن لاتمكنهم من النهوض باعباء الحكم. وغالبا ماينتهي هذا الصراع بخلع السلطان القائم او قتله .واستمر هذا الصراع قائما الى ان انتهى بالقضاء على عرش سلاطين المماليك[3] يلاحظ من هذا العرض السريع للحياة السياسية السائدة في البلاد المصرية والشامية،ان علاء الدين مغلطاي بن قلنج قد عاش الجانب الاكبر من حياته في ظل دولة المماليك البحرية ،واتسم هذا الجانب بالاستقرار والاطمئنان ولاسيما في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي تولى الحكم ثلاث مرات .ثم اكمل مغلطاي مابقي من حياته في ظل دولة المماليك البرجية التي سيطرت على مقاليد الحكم سنة (ثمان واربعين وسبع مئة) .واتسم حكمها بالصراع السياسي: والتناحر بين الامراء والسلاطين من ابناء الملك الناصر محمد بن قلاوون طيلة مدة حكمها.[4]

---

(١)الدكتور علي ابراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية ،ص٩٥.

(٢)المصدر نفسه ، ص٩٦.

(٣) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك .ص١٠٢.

(٤)الدكتور علي ابراهيم حسن.دراسات في تاريخ المماليك البحرية ،ص٩٥.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور :العصر المماليكي في مصر والشام ،ج١،ص٢٧.

obeikandl.com

المبحث الثاني :الحالة الاجتماعية

حتى نصل الى تصوير دقيق للحالة الاجتماعية في مصر في العصر المماليكي لا بد لنا ان نتحدث عن عناصر المجتمع وفئاته .

عناصر المجتمع وفئاته :

كان سكان مصر في عصر المماليك خليطاً من الطبقات الاجتماعية ، وان مثل هذا الحال – امر طبيعي –ان يؤدي الى التفاوت الطبقي وان تبرز الطبقية بشكل واضح في السكان .

لذا قسّم تقي الدين المقريزي[1] (ت٨٤٥ هـ) المجتمع المصري في عصر المماليك الى سبعة اقسام :

القسم الاول : اهل الدولة .وهم (المماليك) وتشمل الامير والسلطان والحاكم واسرته من البيت المماليكي والمترفين الذين لا يساوون احداً بانفسهم ، فهؤلاء يكوّنون طبقة لها ميزاتها وملامحها ، فضلا عن ان المقريزي ألحق بهذا القسم موظفي الحكومة وابناء المماليك والطبقة العليا(السلاطين والملوك والامراء) وغيرهم من الذين ابتسم لهم الحظ فأثروا بطريقة واخرى .[2]

القسم الثاني :اهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية.[3]

والقسم الثالث:الباعة، وهم متوسطو الحال من التجار ،ويقال لهم اصحاب البر ،ويلحق بهم اصحاب المعايش .وهم السوقة.[4]

والقسم الرابع :اهل الفلح .وهم اهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريف.[5]

القسم الخامس :الفقراء .وهم جل الفقهاء وطلاب العلم ،والكثير من اجناد الحلقة ونحوهم.[6]

والقسم السادس:ارباب الصنائع والمهن .[7]

والقسم السابع :ذوو الحاجة والمسكنة .وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم.[8]

---

(١)المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشره مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ،القاهرة ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ،١٩٤٠،ص١٨٠.

(٢)المصدر نفسه ، ص١٨٠ .

(٣)المصدر نفسه ص١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٥) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٦) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٧) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٨) المصدر نفسه ص١٨٠.

ولئن بدا من الغريب ان يجعل المقريزي كلاً من الفقهاء وطلاب العلم في الطبقة الخامسة من التنظيم الطبقي الاجتماعي للعصر المملوكي، لكان هذا في واقعة امر طبيعي في دولة يقوم نظامها على العسكرية، والاعداد للقتال. والاهتمام بالفروسية وتقديم ذلك على العلم والكتاب.[1] واذا كانت الطبقة الاولى من المجتمع المصري -على وفق تقسيم المقريزي- تضم المماليك من السلاطين والامراء. كما تضم الوزراء والكتّاب والقضاة من اهل البلاد. ممن استعان بهم المماليك في تسيير دفة امور الدولة. فان كل واحدة من هاتين الطائفتين كانت تعرف حدودها ولاتتعداها. فلم يكن هؤلاء الوزراء والكتاب والقضاة من اهل البلاد يتطلعون الى تولي السلطة والامرة بدلا من المماليك.[2] لقد عاش السلاطين والامراء والمماليك في عزلة تامة. وطبقة منفصلة عن سائر سكان البلاد. فلم يختلطوا بابناء الشعب. ولم يتزوجوا منهم كما لا يسمحون لاحد بان يحدثهم في شأن الزواج من بناتهم [3]. فاحدثت هذه العزلة والتنكر للمجتمع فجوة واسعة بين الحكام والمحكومين من ابناء الشعب، تعرض الشعب فيها لانواع شتى من الذل والامتهان لاسيما الطبقات السحيقة من المجتمع البعيدة عن السلطة والسلطان. فلم تحظَ بعطف المماليك الا اقلية من ذوي الجاه واليسار والمقربين من السلطة. في حين ظلت غالبية الشعب محرومة من ذلك.[4]

ونتيجة للفارق الكبير بين طبقات المجتمع في العصر المملوكي وعدم وجود توازن في الحياة الاجتماعية. استاثر كثير من السلاطين والامراء بالاموال حتى بلغوا الثراء المفرط. وخير دليل على ذلك ماذكره المؤرخ جمال الدين ابن تغري بردي عن نكبة الامير سلار النائب فيقول[5]: (...واما سلار فانه لما حضر بين يدي الملك الناصر عاتبه عتاباً كثيراً وطلب منه الاموال. وامر الامير سنجر الجادلي ان ينزل معه ويتسلم منه مايعطيه من الاموال. فنزل معه الى داره. ففتح سلار جربا تحت الارض. فاخرج منه سبائك ذهب وفضة وجرب من الاديم الصافي، في كل جراب عشرة الاف دينار، فحملوا من ذلك الجرب اكثر من حمل خمسين بغلا من الذهب والفضة) وهذه الاموال لاتمثل كامل ثروة الامير سلار. فقد احتفظ الامير لنفسه باموال اخرى ذكرها ابن تغري بردي بقوله: (واما ماخلفه الامير سلار من الاموال فقد ذكر منه شيئا). ونذكر منه ايضا مانقله المؤرخون، قال الجزري[6]: (وُجِدَ لسلار ثمانمائة الف الف دينار. وذلك غير الجواهر والحلي والخيل والسلاح).

---

(١)الدكتور محمد زغلول سلام: الادب في العصر المملوكي. ج١. مطابع دار المعارف. مصر. ١٩٧١م، ص٤٧.

(٢)النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري المصري (ت٧٢٩هـ). نهاية الارب في فنون الادب، مطابع دار المعارف. الطبعة الاولى. بيروت. دار العلم للملايين. د.ت. ص١٦.

(٣)المقريزي. اغاثة الامة بكشف الغمة. ص١٨١.

(٤)الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك. ص١٥٧.

(٥)ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج٩، ص١٧.

(٦)الجزري. ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٨٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة الخانجي. ١٩٣٢. ص١٦٠.

وبدثل هذا الثراء المفرط كان الفقر المدقع الذي يخيم على الطبقات الفقيرة من المجتمع ولاسيما طبقة الفلاحين الذين ليس لهم من جهدهم وتعبهم الا خدمة اصحاب الا قطاع من الامراء وغيرهم . والعيش في فقر وعوز دائميين نتيجة ثقل الضرائب المفروضة عليهم [1].

وامراً طبيعي كانت هذه الطبقة الفقيرة معرضة للاوباء وظلم الطبقات العليا ، فضلا عن وقوع كواهل هذه الطبقة يشكل عبئاً لمقاومة الظلم والاستبداد وتقويم الانحراف والاعوجاج بما تملك من وسائل وقدرات [2].

(١)ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر . القاهرة ، ج٩، ص١٧.

(٢)الدكتور علي ابراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية ،ص٣٢٩.

obeikandl.com

المبحث الثالث : الحالة الفكرية

ازدهـــرت العلوم والاداب والمعارف كافة في العصر المملوكي ،حيث ساعد على هذا الازدهار تنافس الملوك والسلاطين والأمراء في نشر العلم وبناء المدارس ،والمعاهد ودور القران ،وعملـوا على تشجيع العلماء والفقهاء والمدرسين ، وسـارعوا الى اقتنـاء الكتـب وتأسـيس المكتبـات ،وقـد اسـهم الخلفاء والملوك بقسط وافر في رعاية هذه الحركة العلمية رعاية مطلقـة ،فـاجزلوا العطـاء للمؤلفـين والكتاب والعلماء ،وبالغوا في الانفاق على الطلاب وتيسير سبل الدراســة لهـم .وانشـؤوا في دورهـم المكتبات الخاصة بهم التي حوت نفائس الكتب في مختلف فنون المعرفة.(١)

وقد استمر هذا النشاط الثقافي واضحاً طيلة حكم المماليك، اذ تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت على استمراريته وازدهاره نجملها بما ياتي:

١. **هجر** كثير من علماء بغداد وغيرها الى البلاد المصرية بسـبب الغـزو المغـولي المدمـر سـنة (سـت وخمسين وست مئة) وزوال الخلافة العربية العباسية،فقد هاجر الكثير مـن علمائـها وعلمـاء بقية المدن العراقية الى البلاد المصرية والشامية.للاقامة فيها (٢).

وكذلك هجرة علماء الاندلس التي ساد فيها التخاصم والتنازع، وقيام الفتن والاضطرابات ، فانتقل عدد كبير من علمائها الى مصر خوفاً على حياتهم ،واسهموا في نشر العلـم والمعرفـة ،وبنـاء الحضارة العربية الاسلامية.

٢. **انتقال** القيادة العربية الاسلامية لمصر بعد احتـلال بغـداد في سـنة سـت وخمسـين وسـت مئـة هجرية، وتمكنت الجيوش المصريـة مـن ايقـاف الغـزو المغـولي في عـين جـالوت (٥)(سـنة ٦٥٨ هجرية). جعلت من مصر قلعةً حصينةً لرد الغـزاة مـن الصليبيـين والمغـول ، فتحولـت بذلـك البلاد المصرية الى مركز سهم من المراكز الثقافية العربية الاسلامية.(٣)

---

(١)احمد حسن الزيات :تاريخ الادب العربي. ط١.مطابع دار العلم للملاين .بيروت.لبنان.ص٤٠١.
الدكتور عبد اللطيف حمزة:الحركة الفكرية في مصر في العصريـن الايوبـي والمملوكـي الاول ،الطبعـة الثامنـة .دار الفكر العربي.١٩٦٨م. ص١٤٩.
الدكتور عبد اللطيف حمزة:الادب المصري في قيام الدولة الايوبية الى مجيء الحملة الفرنسية ، سلسـلة الـف كتاب .مطابع دار القلم (د.ت) .ص٢٢.
الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك.ص١٨٦.

(٢)ابن تغري بردي .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٩، ص ٢٠ .

(٥)عين جالوت :اسم اعجمي لا ينصرف ، وهي بليدة لطيفة بـين بيسـان ونـابلس مـن اعمـال فلسـطين كـان الروم قد استولوا عليها مدةً .ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٩ هـ
ياقوت :ابو عبد الله ، شهاب الديـن ، يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي الرومـي البغـدادي (ت٦٢٦هـ) :معجـم البلدان . ج٦. دار احياء التراث العربي ، لبنان . بيروت ، دون تاريخ . ص١٧٧ .

(٣) ابن تغري بردي .النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٩، ص ٢٠

٣. **تشجيع** المماليك للعلم والعلماء وقيامهم ببناء المدارس والتكايا ودور القرآن .والانفاق عليهم ، ووقف الاوقاف الكثيرة من اجلها . اقتداء بما سبقهم من الخلفاء والملوك .ولرغبتهم في اظهار مودتهم لابناء الشعب. ومحبتهم لهم وللتفاخر فيما بينهم . من خلال عنايتهم بالدين الاسلامي الحنيف وكانت للمماليك عناية خاصة بالمدارس لاتقل اهمية عن عنايتهم بالمساجد .فكثرت في عصرهم المدارس. وتعددت في ارجاء البلاد المصرية .ويكفينا شاهداً على ذلك ماقاله ابن بطوطة:[١](واما المدارس بمصر فلايحيط أحد بحصرها لكثرتها).

وكان من اشهر هذه المدارس :المدرسة الظاهرية التي انشاها الملك الظاهر بيبرس سنة (احدى وستين وست مئة)، والمدرسة المنصورية التي انشأها الملك المنصور قلاوون سنة (تسع وسبعين وست مئة)، والمدرسة الناصرية التي انشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (ثلاث وسبع مئة)،ومدرسة السلطان واكرام لغته العربية. والاهتمام بنشر دعوته الانسانية النبيلة . وقد رافقت هذه الحركة الثقافية في مصر في ظل حكم المماليك مظاهر متعددة للحياة العلمية السائدة في البلاد تتلخص بما ياتي: [٢]

١. **كثرة** اماكن الدراسة ودور التعليم في البلاد .من حلقات الدرس في المساجد الجوامع الى مدارس قائمة بذاتها .مجهزة بمكتبات عامرة ،من اجل ازدهار الحركة العلمية في البلاد .فقد بلغت المساجد التي شيدها الملك الناصر محمد بن قلاوون وابناؤه وامراؤه-في هذا العصر-ثمانية وعشرين -مسجداً[٣].

---

(١)ابن بطوطة .شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي(ت٧٧٩هـ) : رحلة ابن بطوطة ،بيروت،دار صادر .١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م. ص٣٧.

(٢)الدكتور عبد اللطيف حمزة :الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ،ص١٥٦.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس.ص١٤٣.

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ،ص١٩٣.

المرجع نفسه،ج١،ص١٣٢.

(٣)المقريزي:المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج٢،ص٢٤٦، و ج٢،ص٤٠٨.

حين شرع في بنائها سنة (ثمان وخمسين وسبع مئة). وامتدت عناية المماليك ايضا الى تزويد هذه المدارس بالمكتبات العامرة التي هي الركن الاساسي في بناء الحياة العلمية ،فهذا السلطان المنصور قلاوون يزود المدرسة المنصورية بالكثير من كتب[1] الحديث .والتفسير .واللغة ،والفقه . والطب .ودواوين الشعر)[2] وكانه سار على نهج الملك الظاهر بيبرس الذي سبقه، فقد الحق بمدرسته الظاهرية البيبرسية خزانة كتب جليلة تشتمل على مجموعة من الكتب في مختلف العلوم[3].

وقد اسهم المحسنون والاغنياء من محبي العلم والمعرفة في رفد هذه المدارس بكثير من الكتب في العلوم الاسلامية اما تبرعاً ،واما وصية منهم بعد وفاتهم رحمهم الله تعالى[4].

٢. **كثرة العلماء والشيوخ**[5] :

لايمكن للحركة الثقافية في عصر ما ان تزدهر من غير ان يكون للعلماء اثرٌ بارز في رفد مسيرة هذه الحركة والعمل على انتشارها ،فبرزت نخبة جليلة من العلماء في مختلف العلوم العربية الاسلامية طيلة حكم المماليك في البلاد المصرية، فقد عملت هذه النخبة من العلماء--فضلا عن انتشار المدارس في البلاد انتشاراً واسعاً- على خلق الاجواء الثقافية والعلمية في طول البلاد وعرضها ،نتج عنها ظهور اسماء لامعة في افاق المعرفة من العلماء الذين ضربوا بسهم وافر في اكثر من فن من الفنون العلمية العربية فكان منهم :

١.الحكيم شيخ الطب عز الدين ابراهيم بن محمد بن طرخان الانصاري (ت٦٩٠هـ).[6]

٢.المسند المحدث فخر الدين علي بن احمد بن عبد الواحد المقدسي بن البخاري (ت٦٩٠هـ).[7]

٣.الاديب الشاعر عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني(ت٦٩٠هـ).[8]

---

(١) المقريزي .المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار .ج٢ .ص٣٦٢.

(٢) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور .العصر المماليكي في مصر والشام .ص٣٣٣.

(٣)المرجع نفسه .ص٣٣٣ .

(٤)المرجع نفسه .ص٣٣٣ .

(٥)المرجع نفسه .ص٣٣٣ .

(٦)الذهبي .ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ):العبر في خبر من غبر ،حققه وضبطه ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية ،لبنان ، بيروت ،١٩٤٨ ،ج٣ ،ص٣٧١ .

(٧)المصدر نفسه .ج٣ ،ص٣٧٣ .

(٨)المصدر نفسه .ج٣،ص٣٧٤ .

٤.الاصولي المتكلم نجم الدين احمد بن حمدان بن شبيب الحنبلي (ت٦٩٥هـ).[١]

٥.شيخ العربية بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن النحاس المصري (ت٦٩٨هـ).[٢]

٦.الحافظ الكبير شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسن الدمياطي(٧٠٥هـ).[٣]

٧.شيخ القراء تقي الدين محمد بن احمد بن عبد الخالق الصائغ المصري(ت٧٢٥هـ).[٤]

٨.المفسر اللغوي اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسي (ت ٧٤٥هـ).[٥]

٩.الفقيه العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي الشبكي الشافعي (ت٧٥٦هـ).[٦]

١٠.المؤرخ صلاح الدين خليل بن ايبك الالبكي الصفدي (ت٧٦٤هـ).[٧]

ولم يقف الكثير من هؤلاء العلماء الاعلام والفقهاء الصالحين عند حدود الدرس والتدريس وتربية الامة ووضعهم على المسلك الصحيح الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده، بل شاركوا بانفسهم في الجهاد المقدس ضد الغزاة الطامعين من الصليبيين والمغول فذهبوا الى ميادين القتال ، وحملوا السلاح، وجاهدوا جهاد الصابرين ،واحرزوا انتصارات عظيمة للمسلمين في هذا العصر الذي عرف بكثرة وقائعه التاريخية ضد الغزاة المعتدين.

٣. المراكز العلمية في البلاد المصرية والشامية: انتشرت المراكز العلمية في البلاد المصرية والشامية في ظل حكم المماليك للعناية التامة التي اولاها السلاطين للعلم والعلماء ولحرصهم الشديد على نشر العلم والمعرفة في ربوع البلاد. فلم يكن ازدهار الحركة العلمية مقصوراً على القاهرة او دمشق ،بل امتدت الى سائر ارجاء مصر والشام.فكانت هناك مراكز علمية في الاسكندرية ودمياط واسيوط[٨] وقوص[٩] وغيرها. وفي بلاد الشام ازدهرت مراكز علمية ايضا غير دمشق فكانت: حمص ،وحلب ،وحماة، والقدس ،وبعلبك [١٠] وغيرها من المراكز العلمية التي تدل على كثرة المدارس في هذه المدن ،وتوفر العلماء البارزين في مختلف الفنون الاسلامية.

---

(١) المصدر نفسه ،ج٣،ص٣٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ،ج٣،ص٣٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ،ج٤ ،ص١٣ .

(٤) المصدر نفسه ،ج٤ ،ص٧٣ .

(٥) المصدر نفسه ،ج٤،ص١٣٤ .

(٦) المصدر نفسه ،ج٤،ص١٣٥ .

(٧) المصدر نفسه ،ج٤ ،ص١٦٨ .

(٨)الدكتور عبد اللطيف حمزة ،الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول، ص١٥٦-١٦٨.

(٩)قوص :بالضم ثم السكون ،وصاد مهملة ،وهي مدينة قبطية كبيرة عظيمة من قصبة صعيد مصر شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية شرق النيل .

ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج٤ ،ص٤١٣ .

(١٠)السلامي ،تقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت٧٧٤هـ-١٣٧٢م) ،الوفيات ،تحقيق الدكتور صالح مهدي عباس الطائي ،بيروت مؤسسة الرسالة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،ج١،ص١٨-١٩.

٤. ازدهار حركة التاليف :

نشطت حركة التاليف في مختلف الفنون العربية، فكانت المؤلفات النحوية ،واللغوية ،والفقهية، والتاريخية،والادبية وغيرها من المؤلفات في تزايد مستمر. وكان لعلماء كل فن من هذه الفنون اثار جليلة تدل على عظيم فضلهم ،وعلو منزلتهم وسعة اطلاعهم على ما الف في موضوع فنه. وقد نشط في هذا العصر ايضا التاليف الموسوعي حتى عد العصر المملوكي عصر الموسوعات العلمية[١]. اذ ان الكتاب الواحد يضم بين دفتيه مالايمكن جمعه في عشرات الكتب،فلايمكن الاستغناء عنها فهي بغية كل طالب ، وغاية كل دارس[٢].

(١)الدكتور مصطفى الشكعة ،مناهج التاليف عند العلماء العرب. قسم الادب.بيروت،دار العلم للملايين.ط٤.١٩٨٢م،ص٧٣١.ومابعدها.

(٢)المصدر نفسه ،ص٧٣١ .

obeikandl.com